

لم يعلن الشيخ بوعمامة الثورة على الاستعمار الفرنسي بمنطقة الجنوب الوهابي إلا بعد أن هيا جميع القبائل الصحراوية عن طريق مريدي الطريقة الشيعية المنتشرين عبر كل المنطقة, وقد استطاع الشيخ بوعمامة في وقت قصير أن يجمع حوالي ألفان وثلثمائة جندي بين فرسان و مشاة . لقد وقعت أول مواجهة عسكرية بين الشيخ بوعمامة و القوات الفرنسية في 27 أبريل 1881 بالمكان المسمى سفيسيفة جنوب عين الصفراء , وأمام خطورة الوضع سارعت السلطات الاستعمارية إلى إرسال قوات إضافية إلى المنطقة لقمع الثورة والقضاء عليها وتمثل المدد الذي وصل إلى المنطقة فيما يلي: ثلاث فيالق من المشاة تحت قيادة العقيد إينوسانتي . قافلة من ألفين وخمسمائة جمل ومعها ستمائة جزائري . قائد الشعبة العسكرية لمعسكر الجنرال كولينو دانسي هو الذي تولى القيادة العامة لهذه القوة العسكرية. وحسب تقارير الفرنسيين أنفسهم فإن هذه المعركة خلفت خسائر لكلا الطرفين , وقد قدرت خسائر الفرنسيين فيها ستون قتيل واثنتان وعشرون جريحاً. وبعد هذه المعركة ظل الشيخ بوعمامة سيد الموقف , حيث توجه إلى الأبيض سيدي الشيخ مما ساعد الثوار في هذه الفترة على قطع خطوط التلغراف الرابط بين فرنده والبيض ومهاجمة مراكز الشركة الفرنسية الجزائرية للحلفاء, فرقة رأس الماء أسندت مهمتها إلى العقيد جانين. فرقة تيارت وأسندت مهمتها إلى العقيد برونوسيار. ولمواجهة انتصارات الشيخ بوعمامة المتتالية قامت السلطات الفرنسية بتحركات سريعة تمثلت في إرسال قواتها نحو الجنوب الغربي من أجل تطويق الثورة والقضاء عليها وبالتالي تتوسع في المنطقة وتبسط نفوذها على كل قصور الجنوب الوهابي. ونفس الجرائم ارتكبت ضد سكان الشلالة الظهرانية , وما بين سبتمبر وأكتوبر عام 1881 تعرضت القوات الفرنسية بقيادة كل من الجنرال كولونيو والجنرال لويس إلى هجومات المجاهدين قرب عين الصفراء نتج عنها سقوط العديد من القتلى والجرحى بين الطرفين , كذلك قام السفاح لويس بتحطيم القصرين اللذين كان يمتلكهما الشيخ بوعمامة وهما قصر مغرار الفوقاني وقصر مغرار التحتاني, كما دمرت زاوية الشيخ بوعمامة أيضا وقتل العديد من السكان العزل. ومن التطورات الهامة التي حصلت خلال هذه الفترة كذلك هو التحاق الشيخ سي سليمان بن حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابية إلى ثورة بوعمامة على رأس ثلاثمائة فارس , واتجه مع قوته إلى جنوب غرب عين الصفراء ومنها إلى منطقة البكاكرة للضغط على القبائل الموالية للاستعمار الفرنسي. أمام تزايد القوات الاستعمارية وتوافد الدعم لها من كل منطقة ازداد الضغط على الشيخ بوعمامة فاضطر إلى الانسحاب متجها إلى منطقة فقيق بالمغرب الأقصى , حيث قل نشاطه وتفرق أتباعه وأنصاره ,